DE GAULLE (1890-1970)

الفصل السادس

الموقف الفرنسي من نتائج المؤتمر

عَدَّ الفرنسيون نتائج مؤتمر جنيف إيجابية، بل انتصاراً كبيراً، لم يمكنهم تحقيقه، عملياً، بقواتهم العسكرية؛ إذ أتاح لهم:

- تأمين إعادة تنظيم قواتهم، من دون خسائر تذكر.

- تنفيذ برنامج لعمليات انسحاب متعددة.

- التخلص من وطأة النفوذ الأمريكي، المعتمد على المساعدات: المالية والعسكرية.

- تأمين كيان سياسي ونفوذ، وإن مؤقتاً، لأصدقاء فرنسا المحليين، في كلٍّ من فيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا.

وفي التاسع من أكتوبر ١٩٥٤، استكملت فرنسا معظم انسحابها من هانوي، ثم من المحافظات المسيحية. وأنزل العلم الفرنسي من حامية هانوي، للمرة الأخيرة. وخرج العقيد دارجنز، آخر جندي فرنسي، من حدود العاصمة، إلى حيث تجمعت القوات الفرنسية في منطقة هايفونج، ريثما تنتهي عملية تهجير الشماليين إلى الجنوب، التي استمرت ٣٠٠ يوم. وقد ساعدت واشنطن مئات الآلاف من اللاجئين، على الفرار من الشمال إلى الجنوب، ورحل آخر الجنود الفرنسيين عن هايفونج، في مايو ١٩٥٥. وبذلك، تحررت المناطق، شمال خط العرض١٧، من الاحتلال الفرنسي، بعد أن تكبدت القوات الفرنسية: التابعة والمحلية، أكثر من ٣٢٠ ألف قتيل وجريح، حسب

المصادر الفيتنامية؛ و١٥٠ ألف قتيل وجريح، حسب المصادر الأمريكية. بينما اعترف الفرنسيون، رسمياً، بمقتل ٩٢ ألفاً، وجرح ١١٤ ألفاً.

ولم يبقَ لفرنسا، خلال الشهور، التي أعقبت مؤتمر جنيف، سوى بعض المصالح الاقتصادية، والشركات الخاصة، التي تدير الخدمات العامة في فيتنام الشمالية؛ وهي الشركات، التي لم يمضِ عام واحد، حتى أمّمتها حكومة هانوي الثورية. أمّا في فيتنام الجنوبية، فقد كان حلفاء فرنسا الأمريكيون، هم الذين تآمروا على وجودها: العسكري والاقتصادي والثقافي، وأزاحوه، تدريجاً، بعد أن قضى على نفوذها السياسي. واستخدموا الحكومة الجديدة، التي تزعمها،نجو دنه دييم ، بعد تنحية الإمبراطور باو داي، وأتباعه، عن المؤسسات والإدارات المختفة.

وتحت الضغط الأمريكي، سلم الفرنسيون، في أواخر أغسطس ١٩٥٥، السلطات: القضائية والأمنية والطيران المدني، إلى حكومة نجو دنه دييم. وفي سبتمبر، وافقت فرنسا على الانضمام إلى حلف سياتو؛ ودفعت إليها واشنطن مائة مليون دولار، لتغطية نفقات جيشها. ثم خلال الأشهر الثلاثة التالية، أقنعتها بالموافقة على إلغاء مصرف الهند الصينية، والسماح لحكومة سايجون بإصدار عمْلتها المستقلة. وتخلت فرنسا عن حقها في الإشراف على الاقتصاد والتجارة والمالية الفيتنامية. كما قضي على النفوذ الفرنسي في الجيش الفيتنامي الجنوبي؛ بتخويل الفيتناميين قيادته، والأمريكيين تدريبه وتنظيمه. وأخيراً، تخلت الحكومة الفرنسية لحكومة سايجون، عن حقها في الإشراف على المساعدات الأمريكية لفيتنام. وفي ٨ من أبريل ١٩٥٦، غادر آخر جندي فرنسي الهند الصينية.

مرحلة الإعداد

الإعداد والتحضير للحرب المحدودة، بدأ مبكراً، قبل أكثر من عام على انطلاقة مرحلتها الفعلية الأولى، أيْ منذ الشروع في تنفيذ خطة توسيع الحرب إلى خارج حدود فيتنام الجنوبية، والتي بدأت، في فبراير ١٩٦٤، بتكثيف العمليات الخاصة ضد فيتنام الشمالية؛ ليكون بديلاً من التنفيذ الناجح للحملة المعادية للعصيان في الجنوب، أو على الأقل محاولة لإجبار هانوي على الحدّ من نشاط العصابات، إلى المستوى الذي تستطيع

معه حكومة سايجون الضعيفة أن تراجهه. وانعكس هذا التطور في تفكير الحكومة، في تقارير وزير الدفاع، روبرت مكنمارا، إلى الرئيس جونسون، بعد رحلة الوزير إلى فيتنام، في ديسمبر ١٩٦٣، ومارس ١٩٦٤. ففي مذكرة ديسمبر، التي أوصى فيها ببدء الغارات السِّرِّية ٣٤ أ، قدّم روبرت مكنمارا «صورة كئيبة» لفيتنام الجنوبية، تبيِّن سيطرة الفيتكونج على معظم مناطق الأرز، والمناطق المأهولة بالسكان في دلتا الميكونج، جنوب سايجون وغربها. وانتهى إلى القول: «يجب أن نراقب الوضع بعناية فائقة، من دون ذعر؛ متطلعين إلى وضع أفضل، مع الاستعداد لتحركات اضطرارية، إذا لم تظهر دلائل على التحسن».

وفي مذكرته، بتاريخ ١٦ من مارس ١٩٦٤، أشار الوزير إلى «أن الوضع قد ازداد سوءاً، حتى لا يمكن إنكاره»؛ وأوصى بالتخطيط العسكري لمرحلتَين؛ «لتصعيد العمليات الخاصة بصورة أوسع على فيتنام الشمالية». تضمنت المرحلة الأولى، المطلوب تنفيذها خلال ٧٢ ساعة، «السيطرة على المناطق الحدودية، وشن الأعمال الانتقامية عبْرها»؛ وهجمات جيش سايجون على طرق التسلل، على طول شبكة هوشي منه، [وهي شبكة خطوط معقدة لطرق وإمدادات،عبر جنوب شرقي لاوس، وشمال شرقي كمبوديا، إلى مرتفعات فيتنام الجنوبية]؛ وملاحقة رجال العصابات في كمبوديا؛ و«ضربات جوية انتقامية، في فيتنام الشمالية، تنفذها القوات الجوية لفيتنام الجنوبية»، على أساس الرد على هجمات العصابات؛ والقصف الجوي «للموانئ الرئيسية في فيتنام الشمالية، بمساعدة أمريكية، ما أمكن ذلك». وأطلق على المرحلة الثانية اسم «الضغط العسكري المكشوف، المتدرج، على الأهداف الشمالية: العسكرية والاقتصادية في فترة ثلاثين يوماً».

وقال للرئيس جونسون: «إن هذا البرنامج ذا المرحلتَين، سيتخطى حدود الرد على أعمال رجال العصابات. وقد يتضمن هجمات جوية على الأهداف العسكرية، وربما الصناعية كذلك». وسينفذ السلاح الجوي لسايجون تلك الغارات، إضافة إلى سرب أمريكي من الفدائيين، يحمل الاسم السِّرِّي «فارم جيت»، يعمل في فيتنام الجنوبية، وتحمل طائراته إشاراتها. ولكي تنفذ الطائرات الضربات الجوية، يجب تدعيمها بثلاثة أسراب من السلاح الجوى الأمريكي، من قاذفات القنابل النفاثة B-57، تستدعى من اليابان.

ودافع روبرت مكنمارا عن ضرورة أن تسبق التصعيد المفتوح إجراءات، تحسّن عمل حكومة سايجون. وأشار في مذكرته التي رفعها إلى الرئيس، في مارس، إلى أنه «ستكون هناك مشكلة تبرير ذلك العمل، مام الرأي العام العالمي؛ ومشكلة تفاقم الدعاية الشيوعية؛ ومشكلة مواجهة الضغوط، التي قد تنشأ، في الداخل أو الخارج، لتعجُّل مفاوضات غير ناضجة». وأدّى وصفه للمفاوضات إلى اعتقاد الحكومة، أن حكومة الجنرال نجوين خانه عاجزة عن مواجهة الشيوعيين، سياسياً. ولذلك، فإن أيَّ محاولة لتفاوُض الفيتناميين أنفسهم في تسوية سياسية للحرب، يجب تجنُّبها، لأنها ستتمخض بسيطرة الشيوعيين، وانهيار مركز الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام الجنوبية.

وبالمثل، فإن أيَّ اتفاق داخلي بين القوى الفيتنامية المعارضة، تحت شعار ضرورة «حياد» فيتنام، وهو الشعار الذي اقترحه الرئيس الفرنسي، شارل ديجول، في يونيه ١٩٦٣ ـ كان يُعتقد أنه سيسفر عن النتيجة نفسها، انتصار الشيوعيين. إذ أشار مكنمارا، في مذكرته عينها، إلى الخطر الناجم عن نموّ «مشاعر الحياد»، في سايجون؛ واحتمال انقلاب القوى المحايدة، التي يمكن أن تشكل حكومة ائتلافية مع الشيوعيين، وتدعو الولايات المتحدة الأمريكية إلى مغادرة لبلاد. ووافق الرئيس الأمريكي على توصيات الوزير، في اجتماع مجلس الأمن القومي، بتاريخ ١٧ من مارس ١٩٦٤؛ وأصدر توجيهاته بأن «يسير التخطيط بنشاط». ثم، بادر الرئيس جونسون، في ٢٠ من مارس، إلى إبلاغ هنري كابوت لودج، سفيره في فيتام الجنوبية، أنه مصمم على «القضاء على فكرة الحياد، التي أطلت برأسها القبيح»، قائلاً: «إني لا أعتقد، أن هناك ما هو أهم من إيقاف الحديث بالحياد، حيثما استطعنا، وبأي وسائل تحت أيدينا». كما اتفقنا، في رسائلنا السابقة المتبادلة، يجب التحفظ من الأعمال العسكرية المكشوفة، في الوقت الحاضر؛ نظراً إلى الإجماع الذي أسفرت عنه محادثات سايجون، بين بعثة روبرت مكنمارا والجنرال نجوين خانه، بحضورك، على أن التحرك ضد الشمال، في الوقت الحاضر، سيكون عملاً سابقاً لأوانه. نحن نشارك الجنرال نجوين خانه الرأي، في أن المهمة الرئيسية، والعاجلة، تتمثل في دعم القاعدة الجنوبية. ولهذا السبب، فإن تخطيطنا للعمل ضد الشمال، يعتمد على الضرورات الماجلة، في الوقت الحاضر؛ والمشكلة العاجلة،

في هذه المنطقة، هي تطوير أقوى قاعدة ممكنة: عسكرية وسياسية، لاحتمالات العمل، فيما بعد». وأضاف جونسون، أن الحكومة تتوقع، كذلك، «ازدياد حدة النزاع الصيني - السوفيتي، في القريب، وعندئذٍ، يصبح العمل ضد الشمال أكثر تأثيراً».

وكان السفير هنري كابوت لودج يعارض خطة «الأعمال التخريبية الواسعة النطاق» واقترح، في أكتوبر ١٩٦٣، إرسال مبعوث سِري، غير أمريكي، إلى هانوي، يعرض المعونة الاقتصادية، مثل الواردات الغذائية لتخفيض مشكلة نقص الأرز في فيتنام الشمالية، مقابل إيقاف نشاط الفيتكونج. وإذا لم تستجب للعرض، فيجب إرغامها على قبوله، بتوجيه ضربات جوية سِرية إليها، بطائرات، لا رموز عليها.

وقد أوضحت دراسة سِرية للبنتاجون، أن الرئيس جونسون، كان يدفع بحكومته، من ناحية، إلى التخطيط بنشاط من أجل تصعيد الحرب؛ وفي الوقت نفسه، ظل متردداً في ترجمة هذه الخطط إلى أعمال عسكرية. فقد كان يحسب الظروف السياسية: الداخلية والدولية، بدقة، قبْل أن يقدِم على أيِّ تحرك علني.

obeikandl.com